مصادر التفسير بالمأثور بين أهل السنة والشيعة الإمامية الاثني عشرية

(دراسة مقارنة)

Sources of Interpretation by Ma’thur between Sunnies and Twelve Imami Shi’ites

د. روضة عبد الكريم محمد فرعون[١]

[١] أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة القاسمية في الشارقة سابقا.

ملخص

تتلخص مشكلة هذه الدراسة في الكشف عن الأسباب التي من أجلها اختلفت مصادر الشيعة الإمامية الاثني عشرية في التفسير بالمأثور، عن المصادر التي يعتمدها أهل السنة، وتهدف الدراسة إلى المقارنة بين المدرستين، من حيث المصادر المعتمدة عند كل مدرسة، وقد سلكت الباحثة المنهج الاستقرائي، فقد قامت باستقراء مصادر التفسير عند كلٍّ من الشيعة والسنة، كما سلكت المنهج التحليلي، وذلك بدراسة هذه المصادر وتحليلها والمقارنة بينها، وتطلّب ذلك الوقوف بالتفصيل على مفهوم التفسير بالمأثور عند الشيعة؛ إذ إن المفهوم يلقي الضوء على مصادرهم، مع بيان مواضع الاتفاق أو الافتراق بينهم وبين أهل السنة في ذلك، وشرح الأسباب التي دعتهم إلى مخالفة أهل السنة في بعض المصادر. وكان الحديث عن موقفهم من التفسير بالرأي من متممات هذه الدراسة. وتتلخص أهم النتائج في أن للشيعة مدرستهم الخاصة في التفسير؛ تبعاً لاعتقاداتهم الدينية المخالفة لاعتقادات أهل السنة، كاعتقادهم بعصمة الأئمة، وطعنهم في الصحابة – رضي الله عنهم –، وفهمهم حديث الثقلين فهماً مختلفاً عن فهم أهل السنة.

الكلمات المفتاحية: شيعة، التفسير بالمأثور، التفسير بالرأي، أهل السنة.

Abstract

This problem of this study is to detect the reasons for which the sources of the Interpretation by Ma'thur by the Twelver Imami Shi'ites diverged in decimal interpretation with those adopted by the Sunnies. The study aims to compare between the two schools. The researcher has followed the extrapolation method, it extrapolated the interpretation sources of Shias and Sunnis. She also followed the analytical method by examining these resources, analyzing and comparing between them. It was one of the objectives of this study is to compare between the two schools in terms of the supported sources at each school, that requested the stand in details on the Ma'thur of interpretation in Shi'ites school. Since the concept sheds light on their sources, indicating the positions of agreement or difference between them and Sunnis and explain the reasons to contradict the Sunnis in some sources. Discussing their position of Interpretation based on opinion is important to complete this study. Main findings are summarized in the Shias special school of interpretation on religious beliefs which are contrary to the Sunnis beliefs. As their belief in Imams Ismah and insulting the companions of Prophet Mohamad (PBUH) and their different understanding of Al-thaqalein Hadith than the Sunnis.

Key Words: Interpretation Ma'thur, Shia, Interpretation based on opinion.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على نبينا محمد وعلى آله، وأصحابه، وأزواجه، وذريته، وارضَ اللهم عن ساداتنا أبي بكر، وعمر، وعثمان وعليّ، وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنّ القرآن الكريم كتاب هداية وصلاح، أنزله الله عز وجل ليكون موحِّداً للمسلمين على مرّ العصور، فلا كتاب لهم سواه، فمهما اختلفت مشاربهم، ومهما تنوّعت أفكارهم، فالقرآن يجمعهم، وفي فلكه يدورون، وعلى نوره يسيرون.

لكنّ الله عز وجل شاء لهذه الأمة أن تفترق على فرق كثيرة، لحكمة يعلمها سبحانه، ومع ذلك بقي القرآن الكريم هو النور الذي تهتدي به الفرق، وتسعى لفهمه، وتحرص على تدبره، مستعينين بما أثر عن النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ انطلاقاً من قول الله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: ٤٤]، ولم يغفلوا آثار السلف الصالح، رضي الله عنهم؛ إذ كانوا أعلم الناس بكتاب الله، بعد النبي – صلى الله عليه وسلم –، فكان التفسير بالمأثور سبيلاً لفهم القرآن الكريم، غير أن تعدّد المشارب العقدية والفكرية أدّى إلى الاختلاف في كيفية التعامل مع التفسير بالمأثور؛ فالخلفية العقدية هي الأصل الذي تنطلق منه الفرق الإسلامية في تعاملها مع القرآن الكريم وتفسيره، وبناء على تلك الخلفية تحدد المقبول من غير المقبول من الروايات التفسيرية المأثورة.

مشكلة البحث

جاء هذا البحث ليكشف عن الأسباب التي دعت الشيعة الإمامية الاثني عشرية إلى مخالفة أهل السنة في طريقة التعامل مع التفسير بالمأثور، ولا يخفى أن هذه الفرقة تخالف أهل السنة في بعض المسائل العقدية، وقد كانت هذه المخالفة العقدية السبب الرئيس في اختلاف منهجهم في التفسير.

ومن الاعتقادات التي يعتقدها الشيعة الإمامية الاثني عشرية، مما يتعلق بموضوعنا في هذا البحث، اعتقادان رئيسان، أولهما: عقيدتهم بثبوت العصمة لأئمتهم، كثبوتها للأنبياء، ووجوب الرجوع إليهم لمعرفة أصول الدين وفروعه، وعند كل اختلاف، وعدم جواز الرجوع إلى غيرهم.

وثانيهما: طعنهم في الصحابة –رضوان الله عليهم– إلا القليل منهم، والحطّ من أقدارهم، والطعن في عدالتهم، وفي إيمانهم، وبالتالي ردّ كل ما جاء عنهم من روايات، حتى المنسوبة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، لما تحمله هذه الروايات من مخالفة لمعتقداتهم وأفكارهم.

كان هذان الاعتقادان – الخاصّان بالشيعة الإمامية الاثني عشرية – المحرّكين نحو توجّههم إلى اعتماد مصادر للتفسير المأثور تختلف عن تلك المصادر التي اعتمدها أهل السنة، فكان لا بدّ من تسليط الضوء عليهما.

منهجي في البحث

وقد رتّبتُ المسائل في هذا البحث ترتيباً تسلسلياً –كما ظهر لي– ، وجعلتها في مبحثين، بدأتُ بمبحث بيّنتُ فيه معنى التفسير (لغة، واصطلاحاً)، ومعنى الأثر (لغة واصطلاحاً)، خلصتُ فيه إلى معنى التفسير المأثور، وهو مبحث لا بد منه؛ تمهيداً للخوض في صلب الموضوع.

وكان المبحث الثاني في الموضوع الأساس، وهو: التفسير بالمأثور عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، جعلتُ المطلب الأول فيه بياناً لمعنى التفسير بالمأثور عندهم، وفصّلتُ في المصادر الرئيسة للتفسير المأثور عندهم، واستعنتُ بما جاء في كتبهم من نصوص توضّح مذهبهم، وبما جاء في كتب أهل السنة كذلك، لتجلية الأمر، وقد كان المصدران الأول والثاني، مما اتفقوا فيه مع أهل السنة، وهما تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة النبوية، إلا أنهم خالفوا أهل السنة في المصدر الثالث، معتمدين على حديث الثقلين، فرأيتُ ضرورة توضيح معنى هذا الحديث، كما يفهمه أهل السنة، لا سيما أنه وارد في كتبهم.

وقد سلّم هذا المطلب إلى الذي يليه، وهو موقفهم من تفسير الصحابة، ومناسبة مجيء المطلب بعد الأول، أن تفسير الصحابة مصدر معتمد عند أهل السنة، وغير معتمد عند الشيعة، فكان لا بدّ من بيان سبب استبعادهم لتفسير الصحابة.

أتبعتُ هذا بتعداد أهم الكتب التي يعتمدون عليها في روايتهم الأحاديث والآثار، وبيّنت أنه اعتماد لا على أساس؛ إذ إن هذه الروايات لا سند لها، ونقلتُ كلام الشيخ الذهبي –رحمه الله– الذي كان موضوعياً وواضحاً في عدم حجية هذه الكتب.

ولما كان التفسير بالرأي قسيمَ التفسير بالمأثور، أفردتُ له مطلباً لبيان موقف الشيعة الاثني عشرية منه، وختمتُ بذكر أهم تفاسيرهم التي اصطبغت بهذا اللون من التفسير.

واجتهدتُ في كل ما سبق أن أنبّه إلى موافقة الشيعة الاثني عشرية أهلَ السنة أو مخالفتِهم إياهم، قدرَ المستطاع، وقدر ما تسمح به طبيعة البحث، وأنهيت البحث بخاتمة، ضمّنتها أهم النتائج والأفكار.

الدراسات السابقة

ألّف في هذا الموضوع كتابان:

الأول: التفسير بالمأثور، وتطويره عند الشيعة الإمامية، للمؤلف: إحسان الأمين، والكتاب من مطبوعات دار الهادي، في بيروت، وكانت طبعته الأولى عام ٢٠٠٠م.

والمؤلف شيعي، وقد ادّعى في مقدمة كتابه أنه محايد، لكن عقيدته الشيعية غلبت عليه في توجيه دفّة الموضوع، فادّعى بأن كثيراً من الصحابة لا يفهمون القرآن الكريم بصورة تلقائية، وأن أئمة أهل البيت هم المرجعية في التفسير، وغير ذلك من الأفكار الشيعية التي سيطرت على الكتاب.

الثاني: الشيعة الاثنى عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم، للمؤلف: أ. د. محمد العسال –وهو سنّي–، والكتاب من مطبوعات مكتبة المنصور في مصر، وكانت طبعته الأولى عام ١٤٢٧هـ.

وهذا الكتاب قيّم، وقد توسّع فيه مؤلفه ليتحدث عن عقائد الشيعة بالتفصيل، وفروعهم الفقهية، ومدرستهم التفسيرية. لكنه لم يظهر فيه بشكل واضح المقارنة بين مدرسة التفسير الأثرية عند أهل السنة، ونظيرتها عند الشيعة. فجاء هذا البحث، ليدرس مصادر التفسير بالمأثور عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ويقارنها بمصادر أهل السنة، مع بيان الأسباب التي أدت إلى الاختلاف بين الفرقتين.

أسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

مدخل إلى التفسير بالمأثور

لا بد في بداية هذا البحث من توضيح مفهوم (التفسير بالمأثور)، قبل الخوض في موقف الشيعة الاثني عشرية منه، وذلك –أولاً– بمعرفة دلالة كلٍّ من اللفظتين اللتين يتكوّن منهما هذا المصطلح، لغةً واصطلاحاً، للوصول إلى مدلولهما مجتمعتين بمصطلح (التفسير بالمأثور).

أما (التفسير) في اللغة، فأصل المادة يدلّ على "بيان شيء وإيضاحه"[١]، "فالفَسْرُ: الإبانة وكشف المغطى"[٢]، "والتفسير في المبالغة، كالفَسْر"، قاله الراغب[٣].

وقال ابن منظور: "والتَّفْسير كَشف المراد عَنِ اللَّفْظِ المشْكل"[٤]، وهذا من استعمالات اللفظ المعقولة، وقد استُعمل (التفسير) في الكشف الحسّيّ، كما استُعمل في الكشف عن المعاني المعقولة، كما قال د. محمد حسين الذهبي[٥]، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول.

ومن استعمالاته في الكشف الحسّيّ قولهم: "فَسَرْتُ الفرسَ: عرّيتُه؛ لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري"[٦].

---

(١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة (فَسَر)، (٥٠٤/٤).

(٢) الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، باب الراء، فصل الفاء، ص٥٨٧.

(٣) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادة (فَسَرَ)، ص٦٣٦.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، باب الراء، فصل الفاء، (٥٥/٥).

(٥) ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، (١٥/١).

(٦) أبو حيان، **البحر المحيط**، (٢٦/١).

وإنْ كان المعنى اللغويّ لكلمة (التفسير) هو الكشف والبيان، فبات واضحاً أنها إذا استُخدمت مضافة إلى القرآن الكريم يُقصد بها: **بيان كلام الله تعالى، والكشف عن معانيه.**

وقد ذكر العلماء تعريفاتٍ عدةً لمصطلح (التفسير)، يمكن رجعُها جميعِها إلى ما ذكرتُ، وأكتفي بنقل تعريف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، قال: "التفسير: علمٌ يُبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم، من حيث دلالاتُه على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"(١).

وأما (الأثر) لغةً، فهو "بقية ما يُرى من كل شيء، وما لا يرى بعد أن تبقى فيه عُلقة"(٢)، وقال الراغب: "أثر الشيء: حصول ما يدلّ على وجوده، يقال: أَثَرَ وإِثْر، والجمع: الآثار ... ومن هذا يقال للطريق المستدل به على من تقدّم: آثار... وأَثَرْتُ العلمَ: رويتُه، وأصله تتبعتُ أثره، **(أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين)** [الأحقاف: ٤]"(٣).

يُلحظ في كلمة (الأثر) أمران:

الأول: معنى بقية الشيء.

الثاني: دلالة هذه البقية على شيء تقدَّم.

ويمكن استنتاج معنى (المأثور من الكلام): بأنه كلام (أو خبر) باقٍ عن متكلم تقدّم زمناً، دالّ عليه، وبقاء هذا الكلام كان نتيجة تناقله، فهو كلام منقول.

(الأثر) اصطلاحاً:

(الأثر) في اصطلاح المحدّثين يطلق على (الحديث الموقوف)(٤)، وعزاه ابن الصلاح إلى الخراسانيين: أنهم يسمون الموقوف أثراً(٥).

في اصطلاح المفسرين:

يُستعمل هذا المصطلح للدلالة على التفسير المنقول بطريق الروايات المسندة إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– ، وإلى الصحابة –رضي الله عنهم–، ولعل أقدم من أشار إلى هذا التعريف –حسب علمي– الشيخ السيوطي، في مقدمة كتابه (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، حيث ذكر أنه اختصره من كتاب آخر له، اسمه (ترجمان القرآن)(٦)، قال: " وَبعد: فَلَمَّا ألفت كتاب ترجمان الْقُرْآن، وَهُوَ التَّفْسِير الْمسند عَن رَسُول الله وَأَصْحَابه رَضِي الله عَنْهُم، وَتمّ بِحَمْد الله فِي مجلدات فَكَانَ مَا أوردته فِيهِ من الْآثَار بأسانيد الْكتب الْمخْرج مِنْهَا واردات،

---

(١) الزرقاني، **مناهل العرفان**، (٤/٢).

(٢) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة (أثر)، (٥٣/١).

(٣) الراغب، **المفردات**، مادة (أثر)، ص٦٢.

(٤) ابن كثير، **الباعث الحثيث**، ص٤٥.

(٥) ينظر: ابن الصلاح، **مقدمة ابن الصلاح**، ص٤٦.

(٦) لم يصل إلينا.

رَأَيْت قُصُور أَكثر الهمم عَن تَحْصِيله، ورغبتهم فِي الِاقْتِصَار على متون الْأَحَادِيث دون الْإِسْنَاد وتطويله، فخلصت مِنْهُ هَذَا الْمُخْتَصر، مُقْتَصرا فِيهِ على متن الْأَثر، مصدراً بالعزو والتخريج إِلَى كل كتاب مُعْتَبر وسميته: الدّرّ المنثور فِي التَّفْسِير بالمأثور"[١].

يمكن استخلاص تعريف (التفسير بالمأثور) من كلام السيوطي السابق، بأنه "التَّفْسِير الْمسند إِلى رَسُول الله وَأَصْحَابه رَضِي الله عَنْهُم".

وهذا التعريف هو ما ذهب إليه د. عدنان زرزور، واشترط أن يكون المنقول عن الصحابة مما لا مجال فيه للرأي، ولا يعني هذا أن ما كان من اجتهاد الصحابة لا يقبل، بل يقبل، ولكنه لا يدخل في (التفسير المأثور)، بل يطلق عليه عندئذٍ (التفسير بالرأي)[٢]. وهو التعريف الذي ترتضيه الباحثة.

أما إدراج (تفسير القرآن بالقرآن) [٣]، و(تفسير التابعين)[٤] في التعريف، فهو توسّع غير دقيق؛ إذ إن (تفسير القرآن بالقرآن) إن كان وارداً عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، فهو من التفسير المأثور، ولكن إن كان وارداً عن غيره، فيدخل في باب الاجتهاد؛ فحمل الآية على الآية وتفسيرها بها، يخضع لفهم المفسر ورأيه، وقد يخالفه غيره فيما ذهب إليه.

وأما تفسير التابعين، فليس له مزية على تفسير من جاء بعدهم؛ إذ لم يشهدوا نزول القرآن، كالصحابة – رضي الله عنهم–، فيدخل في التفسير بالرأي.

ويطلق على التفسير بالمأثور كذلك: (التفسير بالرواية)، أو (التفسير النقلي)، أو (التفسير الأثري)، فكلها مصطلحات تدلّ على مسمى واحد.

المبحث الثاني

التفسير بالمأثور عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وقيمة تفسير الصحابة عندهم

المطلب الأول

التفسير بالمأثور عند الشيعة الاثني عشرية ومصادره

درجت الفرق الإسلامية على دعم أفكارهم وعقائدهم بالارتكاز على نصوص القرآن الكريم، ذلك أن القرآن كلام الله، وموضع احترام وتقدير عند جميع فرق المسلمين، ولما كانت ألفاظُ القرآن الكريم غيرَ قطعيةِ الدلالة

---

[١] السيوطي، **الدر المنثور**، (٩/١).

[٢] زرزور، **علوم القرآن وإعجازه**، ص٣٤٠.

[٣] وهو ما ذهب إليه بعض العلماء، كالشيخ الزرقاني في **مناهل العرفان**، (١٢/٢)، والدكتور محمد حسين الذهبي، في **التفسير والمفسرون**، (١١٢/١)، وغيرهم.

[٤] وهو ما ذهب إليه الدكتور محمد حسين الذهبي، في **التفسير والمفسرون**، (١١٢/١)، ومناع القطان، في **مباحث في علوم القرآن**، ص٣٥٨، وغيرهم.

في كثير منها، حمّلها أصحاب الفرق تفاسيرَهم وتأويلاتهم، كلٌّ بما يتلاءم مع عقيدته، ولم يقفوا عند هذا الحدّ، بل لفّقوا أحاديث تفسيرية ونسبوها إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، في محاولة منهم للترويج لمذاهبهم، ومن أبرز هؤلاء الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، الذين كانت لهم مغالطات كبيرة وانحرافات بارزة في تاريخ الفرق، وخاصة فيما يتعلق بالتفسير بالمأثور.

يُراد بالتفسير بالمأثور عند الشيعة الإمامية، تفسير القرآن بالقرآن، وبأحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم–، والروايات عن الأئمة من أهل بيته.

أما ما ورد عن الصحابة، فلا يدخل في التفسير المأثور عندهم؛ ولا خلاف بينهم في هذا؛ ذلك أن الصحابة مجروحون عندهم، وسيأتي تفصيل موقفهم من الصحابة فيما بعد.

واعتمدوا في هذا على (حديث الثقلين): "إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، فإنهما لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض"(١).

وقد ذهب كثير منهم إلى أن التفسير بالمأثور هو التفسير، بمعنى أن تفسير القرآن اعتماداً على غير هذه المصادر غير جائز، ويعدّ من التفسير بالرأي، الذي هو محرَّم جملة وتفصيلاً عند معظمهم، وسيأتي بيان هذا في موضعه بإذن الله.

وعلى هذا، فإن مصادر التفسير بالمأثور عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية تتمثل في ثلاثة:

١. القرآن الكريم نفسه.
٢. ما ثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم–.
٣. ما ثبت عن الأئمة من أهل البيت.

المصدر الأول: القرآن الكريم

وهم متفقون في هذا مع أهل السنة، فالقرآن يفسّر بعضه بعضاً، فما يُجمل في موضع يُبَيَّن في آخر، وما يوجَز هنا يُبسط هناك، وفيه العام وما يُخصِّصه، والمطلق وما يقيّده، فتُجمع آيات القرآن الكريم المتحدثة عن موضوع واحد، ويقابَل بينها، فيُحمل بعضها على بعض، وهذا فهمٌ للقرآن من القرآن نفسه.

---

(١) جاء في مسند أحمد حديث طويل فيه: "وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ قَالَ وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ إِنَّ نِسَاءَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَكِنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ قَالَ وَمَنْ هُمْ قَالَ هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ أَكُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ قَالَ نَعَمْ".مسند الكوفيين، حديث زيد بن الأرقم، حديث رقم (١٨٤٦٤). وسيأتي الكلام مطوّلاً عن معنى هذا الحديث.

قال الإمام الزركشي – السّنّي – ضمن العنوان (مسألة في أن أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن): " أحسن طريق التفسير أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فقد فصّل في موضع آخر، وما اختصِر في مكان فإنه قد بُسِط في آخر"(١).

وقال الطباطبائي(٢) –الشيعي الإمامي– في مقدمة تفسيره –مبيّناً الطريقة الصحيحة لفهم حقائق القرآن: "أن نفسر القرآن بالقرآن، ونستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخّص المصاديق، ونتعرفها بالخواصّ التي تعطيها الآيات، كما قال تعالى: **(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)** [النحل:٨٩]، وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكل شيء، ولا يكون تبياناً لنفسه، وقال تعالى: **(هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)** [البقرة:١٨٥]، وقال تعالى: **(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا)** [النساء:١٧٤]، وكيف يكون القرآن هدى وبيّنة وفرقاناً، ونوراً مبيناً للناس في جميع ما يحتاجون، ولا يكفيهم في احتياجهم إليه وهو أشدّ الاحتياج! وقال تعالى: **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)** [العنكبوت:٦٩]، وأي جهاد أعظم من بذل الجهد في فهم كتابه! وأي سبيل أهدى إليه من القرآن!"(٣).

ومن أبرز المفسرين الشيعة الذين عَنَوا بتفسير القرآن بالقرآن الشيخ الطبرسي(٤)، وهذا واضح ملحوظ في تفسيره، من ذلك ما جاء في تفسيره قولَه تعالى: **(كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ)** [العلق:١٥]: " ثم قال سبحانه (كلا)، أي: لا يعلم ذلك. (لئن لم ينته)، يعني: إن لم يمتنع أبو جهل عن تكذيب محمد –صلى الله عليه وسلم – وإيذائه (لنسفعاً بالناصية)، أي: لنجرنَّ بناصيته إلى النار، وهذا كقوله: **(فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ)** [الرحمن:٤١]، ومعناه لنذلّنه ونقيمنه مقام الأذلة ففي الأخذ بالناصية إهانة واستخفاف" (٥).

بهذه الآية الكريمة –آية الرحمن– أكّد المعنى المذكور بآية العلق، وهذا كثير في تفسيره.

ولا يخفى اهتمام الطباطبائي بهذا الجانب، من ذلك تفسيره قولَه تعالى: **(وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُم)** [محمد:٢٠]: " وقوله: (فأولى لهم) لعله خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: أولى لهم ذلك أي حريّ بهم أن ينظروا كذلك، أي إن يحتضروا فيموتوا، وعن الأصمعي أن قولهم: (أولى لك) كلمة تهديد، معناه: ويلك وقارنك ما تكره، والآية نظيرة قوله تعالى: **(أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى)** [القيامة:٣٤، ٣٥]. ومعنى

---

(١) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، (١٩٢/٢).

(٢) السيد محمد حسين الطباطبائي، (ت١٤٠٢هـ)، من أبرز **فلاسفة** و عرفاء ومفكري **الشيعة** في القرن العشرين، له مؤلفات كثيرة في الفلسفة، كـ(بداية الحكمة)، و(نهاية الحكمة)، وكتابه المعروف (أصول الفلسفة والمذهب الواقعي). ينظر: السبحاني، **تذكرة الأعيان**، (٤٣١/١ وما بعدها).

(٣) الطباطبائي، **الميزان**، (١١/١).

(٤) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المعروف بأمين الإسلام، (ت ٥٤٨ هـ)، مفسّر محقق لغوي، من أجلاء الإمامية، نسبته إلى طبرستان، من مؤلفاته: (مختصر الكشاف)، و(جوامع الجامع). ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (١٤٨/٥).

(٥) الطبرسي، **مجمع البيان**، (٧٨٣/٩).

الآية: ويقول الذين آمنوا هلا أُنزلت سورة، فإذا أُنزلت سورة محكمة لا تشابه فيها وأمروا فيها بالقتال والجهاد رأيت الضعفاء الإيمان منهم ينظرون إليك من شدة الخشية نظر المحتضر، فأولى لهم ذلك"(١).

أولى الشيعة الاثنا عشرية هذا الجانب من التفسير بالمأثور عنايتهم، وتفاسيرهم خير شاهد على هذا.

المصدر الثاني: ما ثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم–

وهذا الأصل أيضاً اتفق عليه أهل السنة مع الشيعة، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– هو الشارح للقرآن الكريم، مرجع المسلمين لتوضيح ما خفي عليهم منه، يقول الشيخ حسين الذهبي: "المصدر الثاني الذي كان يرجع إليه الصحابة في تفسيرهم لكتاب الله تعالى هو رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فكان الواحد منهم إذا أشكلت عليه آية من كتاب الله رجع إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في تفسيرها، فبيّن له ما خفي عليه؛ لأن وظيفته البيان" (٢).

ويقول الإمام الزركشي بعد أن ذكر المصدر الأول: "؛ فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضّحة له، قال الله تعالى: **(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** [النحل:٦٤]، ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم –: "ألاَ إني أوتيت القرآن ومثله معه"(٣)، يعني السنة" (٤).

وتحت عنوان (دور الرسول الأعظم – صلى الله عليه وسلم – في التفسير)، قال محمد باقر الحكيم(٥). الشيعي–: "وكان من الطبيعي أن يقوم الرسول الأعظم –صلى الله عليه وسلم– بدور الرائد في التفسير، فكان هو المفسر الأول يشرح النص القرآني، ويكشف عن أهدافه، ويقرب الناس إلى مستواه كلاً حسب قابلياته واستعداده الخاص، ويحلّ للمسلمين ما تعترضهم من مشاكل في تفهّم النص الكريم، وتحديد معطياته، وما يلتبس عليهم من أحكام ومفاهيم، لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– بوصفه صاحب الرسالة، ومهبط الوحي، كان قد أعدّ إعداداً إلهياً لهذه المهمة كغيرها من مهام الدعوة والرسالة." (٦).

وقد اشتُهر تفسير التبيان للشيخ الطوسي(٧)، بأنه يفسّر القرآن الكريم بالمرويات عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– وما نُسب إلى أهل بيته، قال في مقدمة تفسيره: "واعلم أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بأن

---

(١) الطباطبائي، **الميزان**، (٢٣٩/١٨).

(٢) الذهبي، **التفسير والمفسرون**، (٥٠/١).

(٣) الإمام أحمد، **المسند**، مسند الشاميين، حديث المقداد بن معدي كرب، حديث رقم (١٧١٧٤)، وقد صحّحه المحقق الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٤) الزركشي، **البرهان**، (١٩٢/١).

(٥) محمد باقر محسن الحكيم الطباطبائي، (ت ٢٠٠٣م)، مرجع ديني شيعي كبير، يعدّ من أبرز القادة الشيعة في العراق، من أهم كتبه المطبوعة: (علوم القرآن)، (القصص القرآني)، (الهدف من نزول القرآن). ينظر: موقع ويكيبيديا الإلكتروني: https://ar.wikipedia.org، وموقع إسلام أون لاين: https://archive.islamonline.net

(٦) الحكيم، **علوم القرآن**، ص٢٧٦.

(٧) أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت٤٦٠هـ)، شيخ الطائفة، أسس طريقة الاجتهاد المطلق في الفقه وأصوله، واشتُهر بالشيخ، فهو المراد به إذا أطلق، من مؤلفاته (الاستبصار) و(التهذيب). ينظر: الطهراني، **طبقات أعلام الشيعة**، (٢/ ١٦١).

تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، وعن الأئمة عليهم السلام، **الذين قولهم حجة كقول النبي** –صلى الله عليه وسلم–[١]، وأن القول فيه بالرأي لا يجوز"[٢].

يقول الدكتور الزيدي –مبيّناً اهتمام الطوسي بالجانب النقلي–: "عنى الطوسي بالتفسير النقلي عناية فائقة، وذلك ينسجم مع ثقافته العامة واتجاهه العلمي، إذ هو أكبر محدثي الإمامية، وأكبر الفقهاء والأصوليين عندهم، يروي عنهم كما يروي عن جماهير المسلمين، وهذه السمة واضحة أيضاً في تفسيره، إذ نجد أكثر الروايات فيه مأثور عن النبي –صلى الله عليه وسلم– والصحابة والتابعين، وينضم إليها في مواضع ما أثر عن الأئمة من وجه التفسير، وقد يسّر له هذه المهمة اعتماده على مصادر متنوعة، والإفادة منها بعقلية واعية متفتحة، فكأنه أراد أن يشعرنا بوحدة المسلمين حين ضمّ المأثور عن الأئمة إلى المأثور عن غيرهم من علماء الأمة"[٣].

من ذلك ما جاء في تفسيره قولَه تعالى: **(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)** [الأنفال:٦٠]: "وقوله تعالى: (من قوة)، أي مما تقوون به على عدوه. وقيل: معناه من الرمي، ذكره الفراء. ورواه عن النبي –صلى الله عليه وآله– عقبة بن عامر، على ما ذكره الطبري. وقال عكرمة: أراد به الحصون"[٤].

إلى هنا اتفق أهل السنة مع الشيعة الاثني عشرية. ومعظمُ الفرق الإسلامية ــإن لم تكن كلهاــ تسير على هذا النهج، بأن تجعل مصدرها الأول في التفسير القرآن الكريم، ثم أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم–.

المصدر الثالث: الأخبار المروية عن الأئمة من أهل البيت

اعتقد الشيعة بأن الرسول –صلى الله عليه وسلم– هو الشارح لكتاب الله، والمبيّن لما غمض منه، واتفقوا بهذا مع أهل السنة –كما سبق–، لكن الشيعة غالوا بعد ذلك، بأن قالوا: "إن النبي –صلى الله عليه وسلم– فسر القرآن الكريم على مستويين: عام، وخاص، فقد كان يفسره على المستوى العام في حدود الحاجة، ومتطلبات الموقف الفعلي، ولهذا لم يستوعب القرآن كله.

وكان يفسره على مستوى خاص تفسيراً شاملاً كاملاً بقصد إيجاد من يحمل تراث القرآن، ويندمج به اندماجاً مطلقاً بالدرجة التي تتيح له أن يكون مرجعاً بعد ذلك في فهم الأمة للقرآن، وضماناً لعدم تأثر الأمة في فهمها بإطارات فكرية خاصة ومسبقات ذهنية، أو رواسب جاهلية"[٥].

والسبب في هذا المذهب أنهم أرادوا أن يخرجوا من تناقض أوقعوا أنفسهم فيه، حيث قالوا إن ما صحّ عن الصحابة من التفسير المأثور عن النبي –صلى الله عليه وسلم– يدلّ على أنه لم يكن قد فسر للصحابة على وجه العموم آيات القرآن جميعاً تفسيراً شاملاً، وإلا لكثرت الروايات عن الصحابة، وفي المقابل هناك آيات وشواهد

---

[١] جعل أقوال الأئمة بمنزلة أقوال النبي – صلى الله عليه وسلم – !!!

[٢] الطوسي، **التبيان**، (٤/١).

[٣] الزيدي، **منهج الطوسي**، ص ١٠١.

[٤] الطوسي، **التبيان**، (٥/ ١٤٣).

[٥] الحكيم، **علوم القرآن**، ص٢٥٤.

تدلّ على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقوم بعملية تفسير شاملة للقرآن كله، كقوله تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) [البقرة: ١٥١].

للخروج من هذا التناقض ذهبوا إلى القول بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد فسر القرآن على مستويين، واعتقدوا بأن هذا هو الحل المنطقي للموقف، وتدعمه النصوص المتواترة الدالّة على وضع النبي – صلى الله عليه وسلم – لمبدأ مرجعية أهل البيت في مختلف الجوانب الفكرية للرسالة، ووجود تفصيلات خاصة لدى أهل البيت تلقوها عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في مجالات التفسير والفقه وغيرها(١).

وإسنادهم المرجعية الدينية – وعلى رأسها المرجعية في تفسير القرآن – إلى أهل البيت هذا أساس عظيم من أسس قبول التفسير عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وقد نبع هذا الأساس من عقيدتهم بعصمة الأئمة(٢)، ووجوب التمسك بما صدر عنهم، استناداً – بالدرجة الأولى – على حديث الثقلين، الدالّ على تعيين النبي – صلى الله عليه وسلم – أهل البيت مرجعية دينية، وعلى أحاديث أخرى، ويُلحظ أن الشيعة حين يذكرون الأحاديث الدالّة على فضل أهل البيت يُخرّجونها من مصادر أهل السنة، وكأن لسان حالهم يقول: (من فمك أدينك)، ولكن هل فعلاً هذه الأحاديث تثبت وِجهتهم؟

لنقف وقفة مطولة مع حديث الثقلين، وشرحه عند كلٍّ من الشيعة وأهل السنة، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، فإنهما لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض".

ورد حديث الثقلين بهذا اللفظ وبألفاظ أخرى قريبة منه في مواضع كثيرة من مصادر أهل السنة، كمسند الإمام أحمد(٣)، وأصحّها رواية الإمام مسلم عن يزيد بْنُ حَيَّانَ قَالَ انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ وَغَزَوْتَ مَعَهُ وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ـ إلى أن قال زيد ـ: "قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ

(١) ينظر: الحكيم، **علوم القرآن**، ص٢٨٠.

(٢) وقد اعتقدوا في أئمتهم عقائد منحرفة ضالة، للتوسع، ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، (٢٥/٢).

(٣) تقدّم تخريجه في ص (٧)، من هذا البحث.

الصَّـدَقَةَ بَعْدَهُ قَالَ وَمَنْ هُمْ قَالَ هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّـدَقَةَ قَالَ نَعَمْ"(١).

وذكر الإمام النووي حين شـرح هذا الحديث: أن المقصـود احترامهم وإكرامهم، وأنه – صـلى الله عليه وسلم – سماهم ثقلاً ووعظ في حقوقهم(٢).

وجاء في سنن الترمذي: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنْ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّـمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا" ، قال الترمذي: قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ(٣) ".

قال في تحفة الأحوذي: "قَالَ الطِّيبِيُّ فِي قَوْلِهِ : " إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ إِشَـارَةً " إِلَى أَنَّهُمَا بِمَنْزِلَةِ التَّوْأَمَيْنِ الْخِلْفَيْنِ عَنْ رَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ وَأَنَّهُ يُوصِـي الْأُمَّةَ بِحُسْـنِ الْمُخَالَفَةِ مَعَهُمَا وَإِيثَارِ حَقِّهِمَا عَلَى أَنْفُسِـهِمْ كَمَا يُوصِـي الْأَبُ الْمُشْـفِقُ النَّاسَ فِي حَقِّ أَوْلَادِهِ ، وَيُعَضِّـدُهُ مَا فِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عِنْدَ مُسْـلِمٍ : " أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي "كَمَا يَقُولُ الْأَبُ الْمُشْـفِقُ اللَّهَ اللَّهَ فِي حَقِّ أَوْلَادِي. " وَلَنْ يَتَفَرَّقَا ": أَيْ كِتَابُ اللَّهِ وَعِتْرَتِي فِي مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ. " حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ"، بِتَشْـدِيدِ الْيَاءِ. " الْحَوْضَ": أَيْ الْكَوْثَرَ يَعْنِي فَيَشْـكُرَانِكُمْ صَـنِيعَكُمْ عِنْدِي. " فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِيّ"، بِتَشْدِيدِ النُّونِ وَتُخَفَّفُ أَيْ كَيْفَ تَكُونُونَ بَعْدِي خُلَفَاءَ أَيْ عَامِلِينَ مُتَمَسِّكِينَ بِهِمَا . قَالَ الطِّيبِيُّ : لَعَلَّ السِّرَّ فِي هَذِهِ التَّوْصِيَةِ وَاقْتِرَانَ الْعِتْرَةِ بِالْقُرْآنِ أَنَّ إِيجَابَ مَحَبَّتِهِمْ لَائِحٌ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)، فَإِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ شُـكْرَ إِنْعَامِهِ وَإِحْسَـانِهِ بِالْقُرْآنِ مَنُوطًا بِمَحَبَّتِهِمْ عَلَى سَـبِيلِ الْحَصْـرِ فَكَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِي الْأُمَّةَ بِقِيَامِ الشُّكْرِ "(٤).

هذا هو فهم أهل السنة لهذه الأحاديث وغيرها مما جاء في فضل أهل البيت، ووصية النبي – صلى الله عليه وسلم – فيهم، ويتمثل هذا الفهم بتقدير أهل البيت وإجلالهم، والتخلق معهم بأخلاق حسنة، وهو خلاف تأويل الشيعة المختَلَق الذي يتماشى مع معتقدهم في تقديس الأئمة وتعظيمهم.

ومن الروايات التي تمثل مبدأ مرجعية أهل البيت، وأنهم هم العارفون بالقرآن الكريم دون غيرهم، ما ذكره الكليني(٥) في كتابه (الكافي)(٦) – وهو من أهم الكتب عند الشيعة الاثني عشرية على الإطلاق، وهو عندهم بمنزلة

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (من فضائل علي بن أبي طالب)، حديث رقم (٤٤٢٥).

(٢) النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي (المنهاج)**، (٥٥٤/٥).

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب (المناقب عن الرسول – صلى الله عليه وسلم –)، باب (مناقب أهل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم –)، حديث رقم (٣٧٨٨).

(٤) المباركفوري، **تحفة الأحوذي**، (٢٦٠٩/٢).

(٥) أبو جعفر محمد ابن يعقوب الرازي الكليني، (ت٣٢٨هـ)، ويلقب بـ(ثقة الإسلام)، شيخ الشيعة، وعالم الإمامية، صاحب التصانيف، من مؤلفاته: (الردّ على القرامطة)، و(رسائل الأئمة). ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (٢٨٠/١٥)، وينظر: الطهراني، **طبقات أعلام الشيعة**، (٣١٤/١).

(٦) في الوقت الذي رفض فيه الشيعة صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنة، المعتمدة الموثقة، اعتمدوا في أحاديثهم على ما نقله الكليني، في كثير من عقائدهم وعدوه حجة، ويعد كتابه الكافي من أقدم كتب الشيعة في الحديث، وأوثقها عندهم، ويصور أحد الشيعة مكانة هذا الكتاب لديهم فيقول:

صحيح البخاري ومسلم عند أهل السنة –، تحت باب (أن الراسخين في العلم هم الأئمة عليهم السلام): "قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام، في تفسير قوله تعالى: **(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)** [آل عمران:٧] قال الإمام: نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله"(١).

وقد كفى أهلَ السنة الردَّ السيدُ أبو الفضل ابن الرضا البرقعي(٢)، في كتابه (كسر الصنم)، الذي جعله نقضاً لكتاب الكافي، نقد البرقعي هذه الرواية سنداً ومتناً، وقال بأن هذه الرواية تخالف القرآن والعقل ونهج البلاغة، وإسنادها ضعيف جداً، ففيه رجال وضّاعون وكذّابون، وذكر بأن هذه الرواية تبعد الناس عن القرآن، فالآيات المتشابهات غير معروفة، وكل آية يمكن أن تكون متشابهة، والنتيجة أنه لا بد أن نغض الطرف عن القرآن كله، لأن الإمام وحده هو من يعلمها، ثم ردّ رداً مطولاً، طويتُه؛ اختصاراً(٣).

ومَن يتمعن في كتب الشيعة الاثني عشرية، يجد أن اهتمامهم بهذا المصدر الثالث – وهو ما ورد عن الأئمة – أكبر بكثير من اهتمامهم بالأصلين الأولَين، فجلّ كلامهم يدور حوله، ولا يدل هذا إلا على فساد مذهبهم، وتعصبّهم المقيت، مستندين في هذا كله إما على روايات لا تصح، أو على تأويلات مُخْتَلَقة.

من ذلك ما ذكره البحراني(٤) في مقدمة تفسيره، من أن القرآن كلام الله لا يفهمه إلا من خوطب به، وأن من خوطب به بثّ علمه إلى الوصي بعده، وهو الإمام علي بن أبي طالب، وهذا بدوره بثّه في صدر الوصي

وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب، والأخذ به والثقة بخبره والاكتفاء بأحكامه، وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره، وعلى أنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم، وهو عندهم أجلّ وأفضل من جميع أصول الأحاديث، علماً بأن جلّ ما في الكافي أخبار تنتهي عند الأئمة، وأكثر ما يروى في الكافي واقف عند الصادق، وقليل منه ما يعلو إلى أبيه الباقر، وأقل من ذلك ما يعلو إلى أمير المؤمنين علي –رضي الله عنه– ونادراً ما يقف عند النبي – صلى الله عليه وسلم –. ينظر: الصلابي، **أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه** ، (٩٧٥/٢).

وقال الصلابي: "وقد ردد هذه الافتراءات على القرآن الكريم (الافتراءات بتحريف القرآن) العديد من علماء الشيعة الإمامية، وعلى رأسهم حجتهم المشهور أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، صاحب كتاب الكافي، الذي يعتبر في حجيته لدى الشيعة في مرتبة كتاب البخاري عند أهل السنة، وقد ذكر صاحب تفسير الصافي الشيعي: إن الظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني –طاب ثراه– أنه كان يعتقد أيضًا في التحريف والنقصان في القرآن؛ لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي، ولم يتعرض بقدح فيها، على أنه ذكر في أول كتابه أنه يثق بما رواه فيه".المصدر السابق، (٩١٩/٢).

(١) الكليني، **الكافي**، باب (أن الراسخين في العلم هم الأئمة)، (١/ ١٢٦).

(٢) تلقى علمه في الحوزة العلمية في قم في إيران، ونال درجة الاجتهاد في المذهب الجعفري الاثني عشري، وله مئات التصانيف والمؤلفات والبحوث والرسائل، وقد كان في شبابه شيعياً متعصباً للمذهب الجعفري، ثم اهتدى بفضل الله إلى الحق، إلى الكتاب والسنة ونبذ التعصب. من مقدمة المترجم: عبد الرحيم البلوشي، **كسر الصنم**، ص٢٣.

(٣) البرقعي، **كسر الصنم**، ص١٦٣– ١٦٥.

(٤) السيد هاشم بن سليمان الحسيني البحراني، (ت١١٠٧هـ)، مفسّر إمامي، من قرى البحرين، من مؤلفاته: (روضة العارفين)، و(عمدة النظر في الائمة الاثني عشر). ينظر: كحالة، **معجم المؤلفين**، (١٣٢/١٣).

بعده، وعلى هذا، فإن علم التنزيل والتأويل هو في أيدي أهل البيت، وأن ما جاء من تفسيرهم للقرآن هو النور والهدى، وما صدر عن غيرهم هو الظلمة والضلال(١).

وأختم هذا المطلب بغلوٍّ جاء على لسان أحد طلابهم، وهو لا يزال في أول مسيرته العلمية: " ... وعلى هذا يمكننا أن نقول: إن القرآن والرسول – صلى الله عليه وسلم – والأئمة الهداة ـــ عليهم السلام ـــ كلهم صور مختلفة لحقيقة واحدة، وهي المظهر التامّ لذات الله المقدسة المعبّر عنها في القرآن بخليفة الله، وهذا المظهر التامّ هو المظهر الجامع لجميع درجات الوجود، فكل مؤمن مهما سمت وعلت درجته الإيمانية ـــــ حتى ولو كان من أنبياء السلف، في الحقيقة هو مظهر ناقص لذلك الوجود المبارك (خليفة الله)"(٢).

المطلب الثاني

قيمة تفسير الصحابة عند الشيعة الاثني عشرية

تنبع قيمة تفسير الصحابة عند الشيعة الاثني عشرية من نظرتهم للصحابة، ورميهم إياهم بكل نقيصة وطعنهم في عدالتهم، بل في إيمانهم.

الصحابي عند الشيعة الاثني عشرية هو الصاحب، والصاحب يطلق على من طال لبثه، وكثرت ملازمته، فالصحابي مصطلح اصطلح عليه أهل السنة –كما يقول الاثني عشرية–، وهو في الحقيقة صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فلم تكن هذه التسمية موجودة أيام الصحابة، ويرى الشيعة أن الصحابة– تبعاً للقرآن– فيهم مؤمنون، قال الله فيهم: **(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ)** [الفتح:١٨]، وفيهم منافقون، قال الله فيهم: **(وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ)** [التوبة:١٠١]، وفيهم من رموا فراش النبي – صلى الله عليه وسلم – بالإفك، وفيهم من قصد اغتيال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –(٣).

والضابط لمعرفة المؤمن والمنافق هو حبّ الإمام علي –رضي الله عنه– لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: "لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق"(٤)، قال مرتضى العسكري(٥): "فهم ـــ يقصد مدرسة أهل البيت ـ يحتاطون في أخذ معالم دينهم من صحابي عادى علياً ولم يواله، حذراً من أن يكون الصحابي من المنافقين الذين لا يعلمهم إلا الله"(٦).

---

(١) ينظر، البحراني، **تفسير البرهان**، (٤/١).

(٢) نور، **التفسير والمفسرون عند الشيعة (رسالة ماجستير)**، ص٤٣.

(٣) ينظر: العسكري، **معالم المدرستين**، (١/١٠٠–٨٨).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في **صحيحه**، بهذا اللفظ: " قَالَ عَلِيٌّ وَالَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ –صلى الله عليه وسلم– إِلَىَّ أَنْ لاَ يُحِبَّنِى إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضَنِى إِلاَّ مُنَافِقٌ". كتاب (الإيمان)، باب (الدليل على أن حبّ الأنصار وعلي من الإيمان)، حديث رقم (٢٤٩).

(٥) مرتضى بن محمّد إسماعيل العسكري (ت١٤٢٨هـ)، ولد في مدينة سامراء، في العراق، واستقرّ فيما بعد بالكاظمية، له عدد من المؤلفات، منها: (معالم المدرستين)، (خمسون ومائة صحابي مختلق)، (دور الأئمة في إحياء السنة).ينظر: **موقع ويكيبديا الإلكتروني**: https://ar.wikipedia.org

(٦) العسكري، **معالم المدرستين**، (١٠١/١).

وقد تناسى هؤلاء أن كلمة (صحابة) كانت موجودة أيام الصحابة رضوان الله عليهم، وقد وردت عنهم في روايات كثيرة، منها: ما أخرجه الإمام مسلم عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ **صَحَابَةِ** النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ فُلَانٌ شَهِيدٌ"(١)، فليست كلمة محدَثة، كما يدّعون.

كما أن استشهادهم بقوله تعالى: **(وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ)**، ليس في مكانه، فالآية بيّنت صنفاً من سكان المدينة وما حولها، وقد غضّ هؤلاء الطرف عن قوله بعد هذه الآية: **(لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ)** [التوبة:١١٧].

وعرّف المامقاني(٢) – الشيعي– الصحابيَّ، قائلاً: "من لقى النبي – صلى الله عليه وسلم – مؤمناً به، ومات على الإيمان والإسلام، وإن تخللت ذلك ردّة على الأظهر"، ثم عقّب: قولهم: (وإن تخللت ذلك ردة على الأظهر)، ليدخل من رجع عن الإسلام في حياته – صلى الله عليه وسلم – أو بعده إذا مات على الإسلام، كالأشعث بن قيس(٣).

وقال: "وحكم الصحابة في العدالة حكم غيرهم، فمجرد كون الرجل صحابياً، لا يدل على عدالته، بل لا بد من إحرازها، نعم ثبوت كونه صحابياً مغنٍ عن الفحص عن إسلامه، إلا أن يكون ممن ارتدّ بعد النبي – صلى الله عليه وسلم –، فما عليه جمع من العامة من الحكم بعدالة الصحابة كلهم حتى من قاتل علياً أمير المؤمنين عليه السلام عناد محض، يردّه واضح الدليل"(٤).

وتجدر الإشارة إلى أن موقف الشيعة هذا من جُلّ الصحابة، ولم ينجُ من اتهاماتهم الباطلة إلا عددٌ يسير، منهم: عمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعبد الرحمن بن البديل، وقيس بن سعد بن عبادة، وبلال بن رباح، ومن النساء: أم سلمة، وخديجة وفاطمة...، بينما تُرَدّ روايات أبي هريرة، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وسعد بن ابي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومن النساء عائشة وحفصة ... .(٥).

إذا كانت هذه نظرتهم للصحابة، فلا عجب أن لا يقبلوا رواياتهم عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، فعدالتهم مجروحة وأحاديثهم لا تقبل.

وهذه النظرة على النقيض تماماً مما عليه أهل السنة والجماعة من احترام صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والأخذ بما ورد عنهم، والقول بعدالتهم جميعاً، فقد اتفق أهل السنة على عدالة الصحابة جميعاً، ولا يجرّحون أحداً منهم، ولا يرمونه بالنفاق، ولا بالردة، عملاً بوصية النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقد أخرج

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب (الإيمان)، باب (غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون)، حديث رقم (١٦٥).

(٢) عبد الله محمد حسن المامقاني النجفي، (ت ١٣٥١هـ)، فقيه، أديب، محدّث، أصولي، يعدّ مرجعاً من مراجع الشيعة، له تآليف كثيرة، منها: (منتهى مقاصد الأنام)، و(مطارح الأفهام في مباني الأحكام). من مقدمة محقق كتاب (مقباس الهداية في علم الدراية – للمامقاني)، محمد رضا المامقاني، (١٧/١).

(٣) ينظر: المامقاني، **مقباس الهداية في علم الدراية**، (٣٢٨/٢).

(٤) **المصدر السابق**، (٣٣٠/٢).

(٥) الورداني، **عقائد السنة وعقائد الشيعة**، ص١١٤، ١١٥.

الإمام مسلم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ : لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ"(١).

ومن التناقض أن يجتمع وصفا (صحابي) و (منافق)، فإما صحابي، وإما منافق، مع الإقرار بأنه قد يتخلل بين الصحابة بعضُ المنافقين، لكن الحقيقة أنهم خارجون عن لقب (الصحابي)، فهم دخلاء، ليسوا من الصحابة، فقد أخرج الإمام مسلم عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ قَيْسٍ قَالَ قُلْتُ لِعَمَّارٍ: "أَرَأَيْتُمْ صَنِيعَكُمْ هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ أَرَأْيًا رَأَيْتُمُوهُ، أَوْ شَيْئًا عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ؟ فَقَالَ: مَا عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَلَكِنْ حُذَيْفَةُ أَخْبَرَنِي عَنْ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ : "فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ، **(وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)** [الأعراف:٤٠]"(٢).

قال الإمام النووي: "أَمَّا قَوْله – صلى الله عليه وسلم – : (فِي أَصْحَابِي)، فَمَعْنَاهُ: الَّذِينَ يُنْسَبُونَ إِلَى صُحْبَتِي، كَمَا قَالَ فِي الرِّوَايَة الثَّانِيَة: (فِي أُمَّتِي)"(٣). فهم ينسبون إلى صحبة النبي – صلى الله عليه وسلم –، وليست صحبتهم صحبة حقيقية، كما أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يقل: (من أصحابي)، بل قال: (في)، يعني داخل بينهم، وليس منهم.

هذا فيما يتعلق برواية الصحابة عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، أما فيما صدر عن الصحابة أنفسهم من تفسير القرآن الكريم، فمن باب أوْلى أن لا يُقبل عند الشيعة، قال الطباطبائي في مقدمة تفسيره واصفاً منهجه: "نورد روايات منقولة عن النبي والأئمة، أما الرويات الورادة عن الصحابة والتابعين، فإنها على ما فيها من الخلط والتناقض لا حجة فيها على مسلم"(٤).

وذكر في كتابه (القرآن في الإسلام): "تعتقد الشيعة ـ بنصّ القرآن الكريم ـ حجية أقوال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ــ في التفسير، وترى أن الصحابة والتابعين كبقية المسلمين لا حجية في أقوالهم، إلا ما ثبت أنه حديث نبوي، وقد ثبت بطرق متواترة في حديث الثقلين أن أقوال العترة الطاهرة من أهل بيته ــ عليهم السلام ــ هي تالية لأقوال الرسول، فهي حجة أيضاً، ومن هنا اتخذت الشيعة في التفسير بما أثر عن النبي وأهل بيته عليهم السلام"(٥).

فطعنُ الشيعةِ في عدالة الصحابة وإيمانهم أهمّ سبب جعلهم يرفضون تفسير الصحابة، بيد أن هناك أسباباً أخرى، تضاف إلى ذلك، ذكرها أحد مراجعهم الدينية الكبرى، وهو محمد باقر الحكيم، تتلخص فيما يلي:

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (تحريم سبّ الصحابة)، حديث رقم (٤٦١٠).

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب (صفات المنافقين وأحكامهم)، الباب الأول، حديث رقم (٤٩٨٣).

(٣) النووي، **المنهاج**، (٢٦٨/٦).

(٤) الطباطبائي، **الميزان**، (٤/١).

(٥) الطباطبائي، **القرآن في الإسلام**، ص٥٩.

١. لم يكن الصحابة يفهمون القرآن كله فهماً شاملاً من ناحية المفردات والتراكيب، بنحوٍ يتيح لهم أن يحددوا المدلول اللفظي لسائر الكلمات والجمل والمقاطع التي اشتمل عليها القرآن الكريم(١).

٢. لم يكن لدى الصحابة الاستعداد الفكري والمران العقلي الذي يؤهلهم لفهم القرآن الكريم، فقد كانوا يعيشون في جاهلية من القاعدة إلى القمة(٢)، وسيطر التراث الجاهلي على مختلف شؤون حياتهم قروناً عديدة، فمن الطبيعي أن لا يتيسر لهم حين الدخول في الإسلام ـ بصورة تلقائية ـ الارتفاع ذهنياً وروحياً إلى المستوى الذي يتيح لهم استيعاب مدلولات اللفظ القرآني(٣).

٣. عملية فهم القرآن الكريم لا يكفي فيها النظر إلى جملة قرآنية أو مقطع قرآني، بل يحتاج هذا المقطع أو تلك الجملة إلى مقارنة بغيره مما جاء في القرآن الكريم، أو إلى تحديد الظروف والملابسات، وهذه الدراسة المقارنة لها قريحتها وشروطها الفكرية الخاصة، وراء الفهم اللغوي الساذج"(٤).

٤. اعتماد الصحابة والتابعين –من بعدهم– على الإسرائيليات، للاستيضاح عن بعض الحوادث عندما تواجههم الأسئلة عنها(٥).

هذه هي أهم الأسباب التي من أجلها لا يحتجّ الشيعة بتفسير الصحابي، بالإضافة إلى السبب الرئيس، وهو الاعتقاد بعدم عدالتهم.

في مقابل هذا الموقف الحاقد من الشيعة على الصحابة –رضوان الله عليهم–، وعدم الأخذ بتفسيرهم، نجد أن أهل السنة يجعلون تفسير الصحابي في المرتبة التالية لتفسير الرسول — صلى الله عليه وسلم – إذا كانت الرواية موقوفة عليه، بينما هي في حكم المرفوع فيما لا مجال فيه للرأي، وما تعلق بأسباب النزول، أي في المرتبة التالية لتفسير القرآن بالقرآن، وهذا لا يجوز ردّه اتفاقاً، وهم متفقون جميعاً على إجلال الصحابة، وأن لهم من الفهم الدقيق والعلم العميق ما ليس لغيرهم، ببركة صحبتهم النبيَّ — صلى الله عليه وسلم– .

ويرفض الطباطبائي موقف أهل السنة من الصحابة، في كتابه (القرآن في الإسلام)، فيذكر بأن جماعة من الصحابة اشتغلت بالتفسير بعد أن ارتحل الرسول — صلى الله عليه وسلم – ورووا ما سمعوه منه بشكل أحاديث مسندة، أسانيد كثير منها ضعيفة ومتون بعضها منكرة لا يمكن الركون إليها.

---

(١) ينظر: الحكيم، **علوم القرآن**، ص٢٧١.

(٢) يَرِدُ على هذا الكلام اعتراض، وهو أن النبي — صلى الله عليه وسلم – كان يعيش في نفس الظروف، إلا أن المؤلف احتاط لهذا، وذكر في موضع آخر قريب أن النبي — صلى الله عليه وسلم – أعدّ إعداداً إلهياً لمهمة التفسير، ينظر: الحكيم، **علوم القرآن**، ص٢٧٦.

(٣) ينظر: الحكيم، **علوم القرآن**، ص٢٧٢.

(٤) الحكيم، **علوم القرآن**، ص٢٧٢.

(٥) ينظر: الحكيم، **علوم القرآن**، ص٣٠٦، ٣٠٧.

وربما ذكر هؤلاء ـــ والكلام للطباطبائي ـــ تفسيرَ بعض الآيات على أنه تفسير منهم بدون إسناده إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم –، فعدّ المفسرون من متأخري أهل السنة هذا القسم أيضاً من جملة الأحاديث بحجة أن الصحابة أخذوا علم القرآن من النبي –صلى الله عليه وسلم–، ويبعد أن يفسروا من عند أنفسهم.

ثم رفض الطباطبائي فهم أهل السنة هذا؛ بحجة أن كمية كبيرة من الأحاديث واردة في أسباب النزول وأحداث تاريخية، وكثير منها عن أهل الكتاب، وأن ابن عباس –رضي الله عنه– كان يستشهد بأبيات من الشعر(١).

ثم قال: "ومن هنا لا يمكن اعتبار الأحاديث المنقولة عن الصحابة أحاديث نبوية، كما لا يمكن القول بأنهم لم يفسروا مطلقاً برأيهم"(٢).

ونحمد الله أن يسّر لهذه الأمة علماء جهابذة من المحدِّثين عنوا بالأسانيد، ومَيْزِ الصحيح من الضعيف والمدسوس، بقواعد متينة، دُهش من دقتها المخالفون قبل المؤيدين، فلا يبقى لترهات هؤلاء الشيعة الحاقدين سبيل إلى العقول النيرة.

المطلب الثالث

أهم الكتب التي يعتمدون عليها في رواية الأحاديث والأخبار

لما كانت للشيعة أصولهم العقدية التي خالفوا بها أهل السنة (منها عصمة الأئمة)، ولما كانوا يرفضون روايات الصحابة، ولما كانت لهم شروط لرواية الأحاديث لا تتفق مع شروط أهل السنة، خصّوا أنفسهم بكتبٍ للحديث، ولم يعترفوا بكتب أهل السنة، وقد مرّ معنا – قبل قليل – كلام للطباطبائي يؤكد اعتمادهم طرقَ روايةٍ مختلفة عن طرق أهل السنة، مردّها إلى أهل البيت والأئمة، حيث قال: "... ومن هنا اتخذت الشيعة في التفسير بما أثر عن النبي وأهل بيته عليهم السلام"(٣)، وقال الطوسي – من قبله – : ""واعلم أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم–، وعن الأئمة عليهم السلام، الذين قولهم حجة كقول النبي – صلى الله عليه وسلم –"(٤).

ومن أهم كتبهم التي يعتمدون عليها في رواية أحاديث التفسير (والأحاديث بشكل عام)، أربعة:

---

(١) ينظر: الطباطبائي، **القرآن في الإسلام**، ص٥٣، ٥٤.

(٢) الطباطبائي، **القرآن في الإسلام**، ص٥٤.

(٣) الطباطبائي، **القرآن في الإسلام**، ص٥٩.

(٤) الطوسي، **التبيان**، (٤/١).

الأول: كتاب (الكافي)، لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني[١]، يقول الشـــيخ الذهبي: "وهو عندهم كالبخاري، وهذا الكتاب يحتوي على ستة عشر ألف حديث، قسمها -كما فعل أهل السنة- إلى صحيح، وحسن، وضعيف، وهو يقع في ثلاثة مجلدات"[٢].

الثاني: كتاب (التهذيب)، لمحمد بن الحسن الطوسي[٣]، مجلدان.

الثالث: كتاب (من لا يحضره الفقيه)، لمحمد بن علي بن بابويه[٤].

الرابع: كتاب (الاستبصار فيما اختُلف فيه من الأخبار)، لمحمد بن الحسن الطوسي.

من هذه الكتب يستمد الشيعة رواياتِهم، بما فيها روايات التفسير، قال شيخهم الفيض الكاشاني[٥]، بعد أن ذكر هذه الكتب: "مدار الأحكام الشرعيَّة اليوم على هذه الأصول الأربعة، وهي المشهود عليها بالصِّحَّة من مُؤلفيها"[٦]. "وقال السـيد مير محمد باقر الداماد في إجازته للسـيد حيدر الكركي في سـنة ١٠٣٨ هـ: "... ولا سـيما الأصـول الأربعة للأبي جعفرين الثلاثة – رضـوان الله عليهم – التي هي المعول عليها، المحفوفة بالاعتبار، وعليها تدور رحى دين الاسلام، في هذه الأدوار والأعصار، وهي: الكافي، والفقيه، والتهذيب، والاستبصار"[٧]. وقال عالمهم المعاصر محمد صالح الحائري: "وأما صحاح الإمامية فهي ثمانية، أربعة منها للمحمدين الثلاثة الأوائل، وثلاثة بعدها للمحمدين الثلاثة الأواخر، وثامنها لحسين – المعاصر – النوري"[٨].

ومن أبسـط البدهيات التي تردّ أحاديثهم، أن كثيراً منها بلا أسـانيد، ونجد الكاتب إحسـان الأمين يعلل هذا المسلك، بأن الظروف السياسية الصعبة التي مرّ بها عموم المسلمين والبلاد الإسلامية، والشيعة بشكل خاص، كانت سبباً في ضياع كتب كثيرة، وروايات تفسيرية عديدة، فلم يصل إلينا من تلك الأصول والكتب الأولى في التفسير إلا القليل، وهي بدورها لم تصل إلينا كما هي في الأصل، إذ أسقطت الأسانيد من بعضها، كما أن بعضها تعرّض للحذف والإضافة[٩].

---

[١] تقدمت ترجمته، ص (١٢)، من هذا البحث.

[٢] الذهبي، **التفسير والمفسرون**، (٤٢/٢).

[٣] تقدمت ترجمته، ص (٩)، من هذا البحث.

[٤] محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، الصدوق أبو جعفر القمي، (ت٣٨١هـ)، كان حافظاً للأحاديث، بصيراً بالرجال، ناقداً للأخبار، له نحو من ثلاثمائة مصنَّف، منها: (من لا يحضره الفقيه)، (علل الشرائع)، (التوحيد). ينظر: الطهراني، **طبقات أعلام الشيعة**، (٢٨٧/١).

[٥] محمد محسن بن مرتضى، المشهور بلقب الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، من علماء الشيعة الإمامية، وقد كان محيطاً بكثير من العلوم، وُلِد ونشأ في أسرة عريقة وبيت حافل بالعلماء والمؤلفين، عاش في (كاشان)، وهي مدينة إيرانية. ينظر: الطهراني، **طبقات أعلام الشيعة**، (٤٩١/٨).

[٦] الكاشاني، **الوافي**، (١/ ٢٤).

[٧] الغفار، **الكليني والكافي**، ص٤١٩.

[٨] الحائري، مقال (منهاج عملي للتقريب)، نشر في (مجلة رسالة الإسلام) في القاهرة، العدد (١٢)، ص ٤٣٠.

[٩] ينظر: الأمين، **التفسير بالمأثور وتطوره عند الشيعة الإمامية**، ص٣٩٣.

ولعل هذا الكلام يحمل دليل فساده، ولا حاجة لردّه من دليل آخر، إذ إن الكاتب يقول: "مرّ بها عموم المسلمين"، ولم تكن هذه الظروف مقتصرة على الشيعة وحدهم، فلماذا ضاعت أسانيد الشيعة، ولم تتعرض أسانيد أهل السنة للضياع ؟؟!!! أم أنه لم يكن هناك أسانيد أصلاً ؟؟

الدكتور محمد حسين الذهبي جلّى الأمر بوضوح، قال بعد أن ذكر كتب الحديث المعتمدة عند الشيعة: "والذي يقرأ في هذه الكتب لا يسعه أمام ما فيها من خرافات وأضاليل إلا أن يحكم بأن متونها موضوعة، وأسانيدها مفتعلة مصنوعة، كما لا يسعه إلا أن يحكم على هؤلاء الإمامية بأنهم قوم لا يحسنون الوضع، لأنهم ينقصهم الذوق، وتعوزهم المهارة"(١).

ثم قال: "ونحن أمام هذه الأحاديث لا يسعنا إلا أن نردّها ردّاً باتّاً، وذلك للأسباب التالية: (أذكرها باختصار)

١. إن غالب هذه الأحاديث يروونها بدون سند.

٢. إن ما روي من هذه الروايات مسنداً لا بد أن يكون في سنده شيعي متعصب لمذهبه.

٣. إن القاعدة المتفق عليها عند المحدثين: أن (كل متن يناقض العقول، أو يخالف الأصول، أو يعارض الثابت من المنقول، فهو موضوع على الرسول)، وغالب أحاديثهم لا تسلم لهم إذا عرضناها على هذه القاعدة.

وكلمة الحق والإنصاف: أنه لو تصفّح إنسان أصول (الكافي)، وكتاب (الوافي)، وغيرهما من الكتب التي تعتمد عليها الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، لظهر له أن معظم ما فيها من الأخبار موضوع وضع كذب وافتراء، وكثير مما روي في تأويل الآيات وتنزيلها، لا يدل إلا على جهل القائل بها وافترائه على الله، ولو صحّ ما ترويه هذه الكتب من تأويلات فاسدة للقرآن، لما كان قرآن، ولا إسلام، ولا شرف لأهل البيت، ولا ذكر لهم"(٢).

رحم الله الدكتور الذهبي، وجعل غيرته على كتاب الله في ميزان حسناته، وتأييداً لكلامه أورد بعض الأمثلة على الروايات التفسيرية التي رويت في هذه الكتب:

جاء في (الكافي للكليني): "عن أبي جعفر – عليه السلام – في قول الله تبارك وتعالى: (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) [النساء: ٥٤]، قال: جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف يقرُّون في آل إبراهيم – عليه السلام – وينكرونه في آل محمد – صلى الله عليه وسلم – ؟ قال: قلتُ: (وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا)؟ قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة، من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم"(٣).

---

(١) الذهبي، **التفسير والمفسرون**، (٤٣/٢).

(٢) الذهبي، **التفسير والمفسرون**، (٤٤/٢).

(٣) الكليني، **الكافي**، (١/ ١٢٢).

وفي موضع آخر من الكتاب نفسه يُروى عن الإمام أبي عبد الله – عليه السلام –، في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء: ٩]، قال: يهدي إلى الإمام"(١).

ومن خزعبلاتهم ما روي عَنْ الإمام أبي عَبْدِ اللَّهِ – عليه السلام – عَنِ الْوَزَغِ، قَالَ: إِنَّ أَبِي كَانَ قَاعِداً فِي الْحِجْرِ، وَمَعَهُ رَجُلٌ يُحَدِّثُهُ، فَإِذَا هُوَ بِوَزَغٍ يُوَلْوِلُ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ أَبِي لِلرَّجُلِ: أَتَدْرِي مَا يَقُولُ هَذَا الْوَزَغُ؟ قَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِمَا يَقُولُ، قَالَ: فَإِنَّهُ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَئِنْ ذَكَرْتُمْ عُثْمَانَ بِشَتِيمَةٍ لَأَشْتِمَنَّ عَلِيّاً حَتَّى يَقُومَ مِنْ هَا هُنَا، قَالَ: وَقَالَ أَبِي لَيْسَ يَمُوتُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ مَيِّتٌ إِلَّا مُسِخَ وَزَغاً، قَالَ: وَقَالَ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ لَمَّا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ مُسِخَ وَزَغاً، فَذَهَبَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَكَانَ عِنْدَهُ وُلْدُهُ، فَلَمَّا أَنْ فَقَدُوهُ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَدْرُوا كَيْفَ يَصْنَعُونَ، ثُمَّ اجْتَمَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا جِذْعاً فَيَصْنَعُوهُ كَهَيْئَةِ الرَّجُلِ، قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَأَلْبَسُوا الْجِذْعَ دِرْعَ حَدِيدٍ، ثُمَّ لَقُوهُ فِي الْأَكْفَانِ، فَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنَا وَوُلْدُهُ"(٢).

المطلب الرابع

هل يجوز تفسير القرآن بالرأي عند الشيعة الاثني عشرية؟

ما هو التفسير بالرأي؟

وضّح الغريفي(٣) (الشيعي) حدودَ التفسير بالرأي، على أنه حالة من الحالات التي تشكّل صيغاً منحرفة في التعامل مع النص القرآني، قال: تفسير القرآن بالرأي: وهو الذي لا يعتمد أحد المرتكزات التالية:

- الأحاديث والروايات الصحيحة الصادرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أو أحد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.
- الأحكام العقلية الفطرية الأولية(٤).
- الظهور اللفظي الثابت في لغة العرب الفصحى(٥).

فإذا لم يعتمد التفسير واحداً من هذه المرتكزات، **فهو من التفسير بالرأي المنهي عنه**، كما جاء في حديث الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ: "من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"(٦)، وفي حديث آخر عنه –

---

(١) **المصدر السابق**، (١/ ١٢٩).

(٢) الكليني، **الكافي**، (٨ / ٢٣٢).

(٣) عبد الله حسين الغريفي مرجع شيعي بحريني، معاصر. ينظر: موقع موقع ويكيبديا الإلكتروني: https://ar.wikipedia.org.

(٤) يقصد الأحكام البدهية أو الضرورية.

(٥) يقصد بالظهور اللفظي: " شاهد من اللغة معلوم بين أهل اللغة، شائع بينهم".

(٦) يخرّج الشيعة هذا الحديث من **تفسير الطبري**، (١/ ٧٨). والحديث الوارد في كتب أهل السنة: "مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ"، رواه أحمد في **المسند**، بداية مسند ابن عباس، رقم الحديث: (١٩٦٥)، وقد ضعّفه الشيخ شعيب الأرناؤوط. ورواه الترمذي في **سننه**، كتاب (تفسير القرآن)، باب (باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه)، حديث رقم (٢٩٥٠)، وقد ضعّفه الشيخ الألباني.

صلى الله عليه وآله –: "فأما من قال بالقرآن برأيه، فإن اتفق له مصادفة الصواب، فقد جهل في أخذه من غير أهله، وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار"(١).

وما أوردناه من الحالات السابقة – والكلام للغريفي – هي من ألوان التفسير بالرأي المنهي عنه، لأنها لا تعتمد الأدوات الصالحة في فهم النص القرآني المنزل من الله عز وجل"(٢).

وسرد الطبرسي في مقدمة تفسيره الأدلةَ التي يستدلّ بها من يمنع التفسير بالرأي، ثم بيّن رأيه في المسألة، وهو أن الله عز وجل ندب إلى الاستنباط، وأوضح السبيل إليه، وأن كتاب الله هو الحجة، وهو الذي تعرض عليه الأقوال، فما وافقه يؤخذ به، وما خالفه يضرب به عرض الحائط، ثم خلُص إلى القول بأن الآثار التي تنهى عن التفسير بالرأي متروكة الظاهر، وأن معناها أن من حمل القرآن على رأيه ولم يعمل بشواهد ألفاظه، فقد أخطأ(٣).

هذا الرأي يمثل ما عليه المعتدلون من الشيعة، فالغريفي يرى أن التفسير بالرأي يُقبل حين يرتكز على إحدى هذه المرتكزات المذكورة، فمفهوم كلامه أن هناك تفسيراً بالرأي محموداً، وأن هناك تفسيراً بالرأي مذموماً، وهو ما قاله هاشم الموسوي، في كتابه (القرآن في مدرسة آل البيت)(٤).

وهناك رأي آخر يرفض التفسير بالرأي جملة وتفصيلاً، منهم البحراني، قال: "ولا ريب أن محل ذلك (يقصد الفصل والوصل والحقيقة والمجاز) من كتاب الله جل جلاله، تحتاج معرفته إلى العلم به من أهل التنزيل والتأويل ـ وهم أهل البيت عليهم السلام ـ الذي علّمهم الله سبحانه وتعالى، فلا ينبغي معرفة ذلك إلا منهم، ومن تعاطى معرفته من غيرهم ركب متن عمياء، وخبط خبط عشواء، فماذا بعد الحق إلا الضلال، فأنى تصرفون"(٥)، وهو المنهج ذاته الذي سلكه الكاشاني في الصافي(٦) .

وقال الخوئي(٧) في (البيان): "التفسير هو إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز، فلا يجوز الاعتماد فيه على الظنون والاستحسان، ولا على شيء لم يثبت أنه حجة من طريق العقل، أو من طريق الشرع، للنهي عن اتباع الظن، وحرمة إسناد شيء إلى الله بغير إذنه: **(آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ)** [يونس:٥٩]، وقال: **(وَلَا**

---

(١) ينظر هذا الحديث في **تفسير العسكري**، ص١٤. وقد ورد في كتب الحديث عند أهل السنة من طريق جندب بن عبد الله، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: " من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ "، رواه الترمذي، في **سننه**، وقال: حديث غريب، كتاب (تفسير القرآن)، باب (باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه)، حديث رقم (٢٩٥٢)، وقد ضعّفه الشيخ الألباني.

(٢) الغريفي، **التشيع**، ص٢٠٠، يتفق في هذا ما ما ذكره الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، (٤٢١/١، ٤٢٢).

(٣) ينظر: الطبرسي، **مجمع البيان**، (٨١/١).

(٤) الموسوي، **القرآن في مدرسة آل البيت**، ص٧٥.

(٥) البحراني، **البرهان**، (٤/١).

(٦) الكاشاني، **الصافي**، جعل المقدمة الخامسة بعنوان: (في المنع من تفسير القرآن بالرأي، والسر فيه)، (٢٤/١-٢١).

(٧) أبو القاسم الموسوي الخوئي النجفي، (ت١٤١٢هـ)، فقيه أصولي، ومجتهد محقق، من كبار المراجع الدينية الشيعية، ولد في بلدة (خوي)، ثم هاجر إلى النجف، من تآليفه المطبوعة: (البيان في تفسير القرآن)، (تهذيب وتتميم منهاج الصالحين). ينظر: **شبكة مزن الثقافية** (موقع إلكتروني): http://www.mozn.net

تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [الإســـراء:٣٦]: إلى غير ذلك من الآيات والروايات الناهية عن العمل بغير العلم، والروايات الناهية عن التفسير بالرأي مستفيضة من الطريقين"[١].

فالشيعة من (التفسير بالرأي) على فريقين، منهم المعتدلون، الذين يقبلون التفسير بالرأي، إذا ارتكز على ركائز صحيحة، ومنهم المتشددون الذين يرفضون التفسير بالرأي مطلقاً.

المطلب الخامس

أهم مصادر التفسير بالمأثور عند الشيعة الاثني عشرية

- التفسير المنسوب إلى الحسن العسكري[٢]، والتفسير مطبوع في مجلد واحد، نشرته مدرسة الإمام المهدي، بقُم، في إيران، غير أن مؤلفه وصل فيه إلى منتصف آية الدَّين من سورة البقرة.
- تفسير العياشي[٣]، والتفسير مطبوع في مجلدين، وصل فيه مؤلفه إلى أواخر سورة الكهف، وقد اكتفى العياشي بسرد الروايات التفسيرية، دون إضافات أو تعليقات، وقد طُبع في المكتبة العلمية الإسلامية، بطهران، في إيران، وقام بتصحيحه وتحقيقه: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي.
- تفســـير القمي[٤]، مطبوع في مجلدين، وقد برز الجانب الأثري في هذا التفســـير، ولا يخلو من مباحث عقلية، صحّحه وعلّق عليه: السيد طيب الموسوي الجزائري، ونشرته مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، بقُم في إيران، وهو تفسير مختصر للقرآن الكريم كاملاً.
- التبيان، للطوسي[٥]، مطبوع في عشرة مجلدات، اشتمل على تفسير القرآن الكريم كاملاً تفسيراً يعتمد على المنقول والمعقول، طبعه الطبعة الأولى مكتب الإعلام الإسلامي، في إيران، في عام ١٤٠٩هـــ، بتحقيق أحمد حبيب قصير العاملي.

---

[١] الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، (٤٢١/١).

[٢] أبو محمد الحسن بن علي، المشهور بالحسن العسكري (ت ٢٦٠ هـ)، الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، له ألقاب عدة: العسكري، السراج، الخالص، الصامت، التقي، وقد اختلف علماء الشيعة في نسبة هذا التفسير إليه. ينظر: الأمين، **أعيان الشيعة**، (١١٥/١).

[٣] محمد بن مسعود العيّاشي السلمي، (ت ٣٢٠ هـ)، أبو النضر: فقيه، من كبار الإمامية، من أهل سمرقند، اشتهرت كتبه في نواحي خراسان اشتهاراً عظيماً، وهي تزيد على مئتي كتاب، أشهرها تفسيره، المعروف بتفسير العياشي. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (٩٥/٧).

[٤] أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي (ت ٣٢٩هـ)، من أجلّ مشايخ الكليني، ومن أشهر رواة الشيعة وأبرزهم. ينظر: الطهراني، **طبقات أعلام الشيعة**، (١/ ١٦٧) . وقد وصفه الذهبي بأنه "رافضي جلد"، وقال: "له تفسير فيه مصائب". **ميزان الاعتدال**، (١١١/٣).

[٥] تقدمت ترجمته في ص (٩)، من هذا البحث.

- مجمع البيان، للطبرسي[١]، مطبوع في عشرة مجلدات، وعلى الرغم من كثرة البحوث العقلية في هذا التفسير، إلا أن صاحبه قد اعتنى عناية فائقة بالجانب المأثور.

ولقيمته العلمية التي أقرّها علماء الشيعة والسنة على السواء، طُبع مرات عديدة، في مصر و بيروت و طهران، إلا أن أفضل طبعات هذا التفسير طبعة المكتبة العلمية في طهران، والتي حقّقها وعلق عليها أبو الحسن الشعراني.

- الصافي، للفيض الكاشاني[٢]، وهو مطبوع في خمسة مجلدات، من بداية القرآن الكريم، إلى نهاية سورة التحريم، والتفسير من منشورات مكتبة الصدر، في طهران، عام ١٤١٦هـ، صحّحه وعلق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، وله تفسير آخر سمّاه (الأصفى)، اصطفاه من (الصافي)، وجعله في مجلدين، وقد اشتمل على تفسير القرآن الكريم كاملاً تفسيراً مختصراً، وقد قام بنشره مكتب الإعلام الإسلامي في إيران، عام ١٤٠٨هـ، وحقّقه المحققان: محمد حسين درايتي ومحمد رضا نعمتي.

- البرهان في تفسير القرآن، للبحراني[٣]، وقد اقتصر في تفسيره على المأثور من روايات أهل البيت، فقد كان يذكر الروايات الواردة في تفسير الآية بإسنادها الكامل، ويُعدّ تفسيراً بالمأثور المحض؛ مجرداً من التفسير العقلي، والتفسير مطبوع في أربعة مجلدات ضخمة، من منشورات مؤسسة الوفاء، في بيروت.

- كنز الدقائق وبحر الغرائب، الميرزا محمد المشهدي[٤]، حقّقه حسين دركاهي، ونُشر بإشراف وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، في طهران، بإيران، في عام ١٩٩١، في أربعة عشر مجلداً، وقد اشتمل على تفسير القرآن الكريم كاملاً.

- بيان السعادة في مقامات العبادة، للجنابذي[٥]، طبع للمرة الأولى عام ١٣١٤هـ، في مجلد واحد كبير، بدار الأصفهاني للنشر، في إيران، ثم طبع للمرة الثانية عام ١٣٨٥هـ، في مطبعة جامعة طهران، في أربعة مجلدات، وهو تفسير صوفي سلك مؤلفه فيه مسلك الصوفية ، مع لون من مذهب الإمامية بنقل أحاديث الأئمة الاثني عشر.

- الميزان في تفسير القرآن، للطباطبائي[٦]، وتفسيره مطبوع في عشرين مجلداً، وقد اشتمل على تفسير القرآن الكريم كاملاً، والطباطبائي يطيل في المباحث العقلية في تفسير الآيات، لكنه يخصّص جانباً للأبحاث الروائية، فيذكر ما تيسير له من الروايات التفسيرية المنقولة عن النبي – صلى الله عليه وسلم ، وأئمة أهل البيت.

---

[١] تقدمت ترجمته في ص (٨)، من هذا البحث.

[٢] تقدمت ترجمته في ص (١٩)، من هذا البحث.

[٣] تقدمت ترجمته في ص (١٣)، من هذا البحث.

[٤] الميرزا محمد بن محمد رضا، القمي الأصل، المشهدي المولد والمسكن، (ت١١٢٥هـ)، فقيه ومُحدّث ومُفسّر شيعي إمامي، له (حاشية على الكشاف). ينظر: الأمين، **أعيان الشيعة**، (١٥٣/٣).

[٥] الملقب بسلطان علي شاه، (ت١٣٢٧هـ)، كان من كان من العلماء الصوفية والشيعة الامامية، جمع بين المعقول والمنقول، وبرع فيهما، من مؤلفاته: (تنبيه النائمين)، (بشارة المؤمنين). ينظر: الطهراني، **طبقات أعلام الشيعة**، (٨٢٤/١٤).

[٦] تقدمت ترجمته في ص (٨)، من هذا البحث.

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، للشيرازي[١] ومجموعة من المؤلفين، وقد كُتب باللغة الفارسية أولاً، وطُبع في سبعة وعشرين مجلداً، ثم تُرجم إلى اللغة العربية، وطُبع في عشرين مجلداً.

الخاتمة

الحمد لله في البدء وفي الختام، وأصلي وأسلم على خير الأنام، سيدنا محمد وعلى أصحابه الأتقياء البررة، أصحاب النفوس العليّة، والقلوب النقية، أما بعد:

فقد توصّلت الباحثة إلى عدد من النتائج، أهمها:

- إن الشيعة الإمامية الاثني عشرية لهم مدرسة خاصة في التفسير مختلفة عن مدرسة أهل السنة، لاختلاف المصادر التي تعتمد عليها كلُّ مدرسة.
- فالتفسير بالمأثور عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، يتمثل في تفسير القرآن بالقرآن، وبأحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم –، والروايات عن الأئمة من أهل بيته.
- يتفق أهل السنة مع الشيعة على المصدرين الأوَّلَيْن، ويختلفان في الثالث، وهو مصدر أساس عند الشيعة الاثني عشرية.
- أما ما ورد عن الصحابة، فلا يدخل في التفسير المأثور عندهم؛ ولا خلاف بينهم في هذا.
- إسناد الشيعة المرجعيةَ الدينيةَ ــ وعلى رأسها المرجعية في تفسير القرآن ــ إلى أهل البيت، نبع في الأساس من عقيدتهم بعصمة الأئمة، ووجوب التمسك بما صدر عنهم، استناداً – بالدرجة الأولى – إلى حديث الثقلين: " وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي"، الدالّ على تعيين النبي – صلى الله عليه وسلم – أهل البيت مرجعية دينية، وعلى أحاديث أخرى تأوّلوها حسب مبادئهم.
- فهمَ أهلُ السنة حديثَ الثقلين على أن المقصود منه احترام أهل البيت وإكرامهم، وأنه – صلى الله عليه وسلم – سماهم ثقلاً ووعظ في حقوقهم.

---

[١] ناصر مكارم الشيرازي، عالم و مرجع شيعي إيراني معاصر، ولد بمدينة شيراز سنة ١٣٤٥هـ. ينظر: معرفة، **التفسير والمفسرون في في ثوبه القشيب**، (١٠٣٠/٢).

- رأيهم في الروايات الواردة عن الصـــحابة: "أنها على ما فيها من الخلط والتناقض لا حجة فيها على مسلم".
- تنبع قيمة تفسير الصحابة عند الشيعة الاثني عشرية من نظرتهم للصحابة، ورميهم إياهم بكل نقيصة وطعنهم في عدالتهم، بل في إيمانهم، فقالوا: إن فيهم مؤمنين ومنافقين، وفيهم من قصـــد اغتيال النبي – صلى الله عليه وسلم –.
- اعتمد الشـــيعة على كتب حديثية خاصـــة بهم، لرواية الأحاديث والمرويات، منها يأخذون الروايات التفسيرية، ولم يعترفوا بكتب أهل السنة، والحقيقة أن كتب الشيعة لا حجية لها؛ إذ إنها بلا أسانيد.
- معظم الشيعة الاثني عشرية على منع التفسير بالرأي، وأنه لا يجوز أخذ التفسير إلا من المصادر الثلاثة: القرآن، السنة، ما ورد عن الأئمة.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الأمين، إحسان، **التفسير بالمأثور وتطوره عند الشيعة الإمامية**، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

٢. الأمين، السيد محسن، **أعيان الشيعة**، تح: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

٣. البحراني، هاشم، **البرهان في تفسير القرآن**، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.

٤. البرقعي، أبو الفضل ابن الرضا، **كسر الصنم**، دار البيارق، عمان، ط٢، ٢٠٠١.

٥. الترمذي، أبو عيسى محمد بن سورة، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار لإحياء التراث العربي، بيروت.

٦. الحائري، محمد صالح، **مقال (منهاج عملي للتقريب)**، مجلة رسالة الإسلام، الصادرة عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، القاهرة، ١٩٤٩.

٧. الحكيم، محمد باقر، **علوم القرآن**، دار التعارف، بيروت، ط٣، ١٩٩٥.

٨. ابن حنبل، أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

٩. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، بعناية: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٩٢.

١٠. الخوئي، أبو القاسم الموسوي، **البيان في تفسير القرآن**، ط٢، ١٩٦٦.

١١. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تح: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٦٣.

١٢. الذهبي، شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥.

١٣. الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٦، ١٩٩٥.

١٤. الراغب الأصفهاني، الحسين بن الفضل، **المفردات في غريب القرآن**، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط٢، ١٩٩٧.

١٥. زرزور، عدنان محمد، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، دار الأعلام، عمان – الأردن، ط١، ٢٠٠٥.

١٦. الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٩٦.

١٧. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢٠٠١.

١٨. الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢.

١٩. الزيدي، كاصد ياسر، **منهج الشيخ أبي جعفر الطوسي في تفسير القرآن الكريم**، بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤.

٢٠. السبحاني، جعفر، **تذكرة الأعيان**، مؤسسة الإمام الصادق، قم، ط١، ١٩٩٨.

٢١. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.

٢٢. الصلابي، علي محمد، **أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (شخصيته وعصره – دراسة شاملة)**، مكتبة الصحابة، الشارقة، ٢٠٠٤.

٢٣. ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان الشهرزوري، **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**، تح: د. نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٨٦.

٢٤. الطباطبائي، محمد حسين، **القرآن في الإسلام**، دار الزهراء، بيروت، ط١، ١٩٧٣.

٢٥. الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ط، د.ت.

٢٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٨٦.

٢٧. الطبري، محمد بن جرير، **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

٢٨. الطهراني، آغا بزرك، **طبقات أعلام الشيعة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.

٢٩. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، **التبيان في تفسير القرآن**، المطبعة العلمية في النجف، د.ط، ١٩٥٧.

٣٠. العسكري، أبو محمد الحسن بن علي، **تفسير العسكري**، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي، قم، د.ط، د.ت.

٣١. العسكري، مرتضى، **معالم المدرستين**، مؤسسة البعثة، طهران، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٣٢. علي، عادل نور، **التفسير والمفسرون عند الشيعة، تفاسير الاثني عشرية (رسالة ماجستير)**، إشراف: البروفسور: اهيف سنو، والأب الدكتور مارتن مكدرموت، جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت، ١٩٩٨.

٣٣. الغريفي، عبد الله، **التشيع نشوؤه – مراحله – مقوماته**، دار الثقلين، بيروت، ط٣، ١٩٩٤.

٣٤. الغفار، عبد الله الرسول عبد الحسين، الكليني والكافي، مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٦هـ.

٣٥. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٨.

٣٦. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

٣٧. الكاشاني، الفيض محمد محسن، **الوافي**، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، أصفهان، د.ط، ١٤٠٦ هـ.

٣٨. الكاشاني، الملا محسن، **كتاب الصافي في تفسير القرآن**، المكتبة الإسلامية، طهران.

٣٩. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث**، تح: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.

٤٠. كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٠.

٤١. الكليني، **الكافي**، منشورات الفجر، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

٤٢. المامقاني، عبد الله، **مقباس الهداية في علم الدراية**، تح: محمد رضا المامقاني، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط١، ١٣٨٥هـ.

٤٣. المباركفوري، أبو العلى محمد عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**، بيت الأفكار الدولية، عمان.

٤٤. معرفة، محمد هادي، **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، إيران،ط٢، ١٤٢٦هـ.

٤٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٦. الموسوي، هاشم، **القرآن في مدرسة آل البيت**، مركز الغدير، ط١، ٢٠٠٠.

٤٧. النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي (المنهاج)**، دار الخير، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

٤٨. الورداني، صالح، **عقائد السنة وعقائد الشيعة**، الناشر: مدبولي الصغير، د.ط، د.ت.

المواقع الإلكترونية:

١. شبكة مزن الثقافية: http://www.mozn.net

٢. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org

٣. موقع إسلام أون لاين: https://archive.islamonline.net